



أهي مدينة يهودية تنتمي إلى هؤلاء الذين يغتصبون ديارنا اليوم، أم مدينة فرنجية تختلف عن الحملات الصليبية في العصور الوسطى، فهي لا تزال تخزن كامن العداوة للعرب والمسلمين في هذه الديار، لتستحق من جيش النظام هذا القصف الوحشي الذي لا يقيم للقيم الإنسانية وزناً، ولا للحرمات اعتباراً، قصفاً لا يفرق بين بشرٍ وحجرٍ وشجرٍ وحيوان حتى أطفال الخداج، بل المشافي نفسها، إذ يلاحق الأطباء والممرضين فيقتلهم ومن ثم يعذبهم لقيامهم بواجبهم الإنساني؟!

يا للخزي والعار، وللنذالة والفسولة أن يتحول المؤمن إلى خائن، والحارس إلى مضيق، والحامى إلى قاتل، والمواطن إلى عدو، والبنديقة التي وجدت لتوّجه إلى رأس المحتل وصدره تصوّب الآن إلى الأخ وابن العم والصديق والجار وابن البلد، فيما لم توجّه من قبل يوماً بحقٍ على عهد هذا النظام إلى الغاصب الإسرائيلي، وهو الذي طرد أصحاب هذه البنديقة بكل صلافة من خنادقهم، واستولى على قطاعٍ كبير من أرضها، في حين أنَّ الدستور يحدِّد مهمة الجيش بالدفاع عن الوطن من عدوٍ خارجي لا بقتل المواطنين واستحلال حرمتهم.

إنَّ الجيش السوري الذي صمت أربعة عقودٍ ونيفًا من السنين عن اليهود، يوجه اليوم أسلحته الفتاكه من دباباتٍ ومدافع وراجمات صواريخ ومرحبيات وغيرها إلى حمص وأخواتها المدن السورية الأخرى، إذ يأبى كرم قائده النبروني أنْ يُخلِّي بلدَة في هذا القطر العزيز من شرِّه ودماره، وإنْ كان قد اختصَّ حمص بالقسط الأكبر من شرِّه، والحظ الأوسع من طغيانه، كائناً لها عندها وعندهم أهلها ثأرٌ قديمٌ أو حقدٌ دفين، فهذا أوان السداد ووقت استيفاء الحساب.

ولماذا حمص؟ ولماذا هذا الهجوم الكاسح؟ لأنَّها من أكبر مدن الشام وأزهراها، لأنَّها البلد الذي تعاون في فتحها خالد وأبو عبيدة، لأنَّ فيها قبر عياض بن غنم فاتح الجزيرة، الرجل السمح الصالح، وقبر خالد أو مقامه؛ لأنَّها بلد الصحابي الورع سعيد بن عامر وكرسيٌّ ولايته حيناً، أم لأنَّها المدينة التي حاربت الاستعمار الفرنسي في هذا العصر بكلٍّ بسالة، أم لأنَّها بلد المجاهد الكبير والداعية العظيم الدكتور مصطفى السباعي - رحمة الله -؟!

إنَّ كلَّ ذلك لا يفسرُ إلا أنه حقدٌ عارمٌ على الشعب الذي ثار لشرفه ودينه وحربيته بعد عشرات السنين من القهر، يمارسه عليه الأسد وأسرته وحزب البعث الذي ناوَ الإسلام بعد أن ذرَّ قرنَه في هذه البلاد المباركة منذ ستة عقود. ومن هنا كان القانون رقم (49) لعام 1980، الذي يُجرِّم إلى درجة القتل، كلَّ من ينتمي إلى دعوة الإخوان المسلمين، ليكون حزب البعث كما في المادة الثامنة من الدستور بأفكاره الجاهلية، أفكار الأسود العنسي وأضرابه وحدها هي التي تحكم البلد وتتحكم فيه!

إننا، ونحن نترحم على أرتال الشهداء الذين أرتفت أرواحهم إلى علية ملفوقة بمناديل الندى والعنبر، مستطررين شأيب الغفران لها، ومستنزلين من الله العلي القدير اللعنات على كل من امتدت يده إليهم بالأذى من الحاكم وجنته، نحمد الله أن هياً من الظروف لكشف أمر هؤلاء الأفakin، قوله - تعالى - : {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}، كما نحمده على أن أبان زيف دول الكفر التي لا تفتأ تدعى مناصرة الشعوب، ولا سيما روسيا والصين، لموقفهما المخزي في تأييد الظلم والجور.

وإذا كان القرآن العظيم، عندما نقرأ بقلوب مؤمنة، نقول: كأنه نزل الساعة، وكأن بعض آياته يصدق على فلان وبعضها على علان، فإن قوله - عز وجل - : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ *} وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهالك الحرج والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له أتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وليس المهد، قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))، يصدق على حاكم سوريا وجلاوته أصدق الوصف.

وإذا كان هذا الطاغية تحركه في غاراته الوحشية على بلاده الأحقاد الحزبية، والنعرات القومية، والتزععات الطائفية، ويسعى جاهداً في حربه الخاسرة ضد شعبه للضرب على وتر هذه التزععات، انطلاقاً من سياسة: (فرق تسد)، فإننا نقول له: كفاكم عاراً وشناراً، تصرفاتكم الهمجية هذه التي أثبتت كذبكم في ما كنتم ترفعونه من شعارات، وتدعونه من احترام الشعوب في مطالبهما. فأنتم اليوم تقتلون شعوبكم، وتسعون لإبادته لمجرد أنه يطالب بحقوقه وينادي بحريته.

وإنني بهذه المناسبة لأوجه شكرأ جزيلاً لأولئك العلوين الذين أصدروا بالأمس بياناً دعوا فيه إلى الوحدة الوطنية، ومحاربة العنعنات الطائفية، وتبرؤوا من أفعال الأسد التي، كما قالوا، لا تمثلهم ولا تمت لهم بسبب. كما أوجه تحية إكبار لعلماء سوريا الذين أصدروا بياناً دعوا فيه أبناءها أن لا ينزلقوا إلى مستنقع الطائفية، وجيش النظام أن يرفض الأوامر التي تصدر إليه لضرب المواطنين، فهم أهل وإخوانه.

وعلى طريق الفرج القريب، بعون الله، عن الشعب السوري الشقيق، أدعوه - جل وعلا - أن ينزل عليه آيات النصر، ويقمع خصومه وينذّهم، وأدعو جميع دولعروبة والإسلام أن تقف إلى جانب هذا الشعب المكلوم، وتساعده مادياً ومعنوياً، ومنظومة جامعة الدول العربية خاصةً أن تكون أكثر حزماً وفاعلياً في محاربة هذا النظام السفاح.. وحماك الله يا حصن من كل حاذٍ غدار، وبقيت يا سوريا أرض المجد والأحرار.

المصدر: رابطة العلماء السوريين، نقاً: مجلة الأمان الـبيروتية

المصادر: